ابن ماجد واسهاماته في جغرافية البحار

الدكتور طه عثمان الفرا

الاستاذ المساعد بقسم الجغرافيا بكلية التربية بجامعة الرياض

ملـــخص :

يعتبر ابن ماجد رائد الجغرافية الملاحيـــة في القـــرن الخامس عشر الميلادى • وقد ولد في جلفار على الساحل العربى لخليج عمان • وهو ينتمى الى نجد • وينحدر من أسرة ذات تاريخ ملاحى عريق اشتغل أفرادها بقيادة السفن • وكان ابن ماجد واسع الاطلاع قرأ في مجالات كثيرة من الادب والفلـك والجغرافيا الرياضية والجغرافية الملاحية •

وقد كتب ابن ماجد مؤلفاته في النصف الاخير من القرن الخامس عشر (١٤٦٢م ـ ١٤٩٥م) • ويتفـــاوت تقديـر المستشرقين لعدد مؤلفات ابن ماجد ما بين أربعين وثلاثيـــن مؤلفا • وأهم مؤلفاته (كتاب الفوائد في أصول علم البحـــر والقواعد) ويقع في مائة وست وسبعين صفحة في كل منهـــا تسعة عشر سطرا • ويحتوى هذا الكتاب على اثنتي عشـــرة فائدة • ومن مؤلفات ابن ماجد الاخرى الهامة (حاوية الاختصار في أصول علم البحار) ، وهى مخطوطة شعرية تضم أكثر من ألف بيت •

وترجع شهرة ابن ماجد الى عدة عوامل اهمها ما يلى :

١ ـ اسهاماته الجغرافية المختلفة التى ابرزت اهمية جغرافيـة البحار وساعدت على تطويرها وارساء دعائمها •

٢ ـ شدة ملاحظته وكثرة أسفاره البحرية •

٣ ـ ما عثر عليه المستشرق الفرنسى (فران) من نص صريح يشير الى أن ابن ماجد هو الذى أرشد المـــلاح البرتغالـى فاسكودى غاما الى طريق الهند • لكن كاتب هذا البحث يرى أن هذا الموضوع يثير عدة تساؤلات وشكوك تحتاج الى مزيد من الدراسة والتحليل والتعليل •

ابن ماجد واسهاماته في جغرافية البحار *

تمهيـــــد :

تأثر العالم الاسلامى الى حد ما بالغزو المغولى في النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى ، مما أصاب الفكر الجغرافى بنوع من الانصراف عن الاسهامات الجديدة الخلاقة · وفي نفس الوقت كانت أوربا تحاول ترجمة النظريات السائدة الى سلوك وواقع يستفاد به · ونتج عن ذلك أن فكرة كروية الارض خضعت للتجريب فخرج كولمبس يسعى للوصول الى الهند عن طريق الغرب بدلا من الشرق · ولقد زاد نشاط أوربا الملاحى · وبدا أن الغرب قد سار في أفق جغرافى جديد ، وهو محاولات التعرف بصورة عملية على سطح هذا الكوكب · كما قل الاعتماد على مؤلفات العرب والمسلمين شيئا فشيئا ·

والحق يقال ان العرب قد بدأوا كذلك في الاهتمام بالملاحة البحرية ، حيث يذكر فاسكو دى غاما في ١٤٩٧م ، أنه شاهد سفنا عربية الى الشمال من موزمبيق تحمـــل البوصلة (بيت الابرة) وخارطات بحرية · وهو يذكر ذلك حرفيا بقوله (ويحمـــل الربابنة بوصلات لتوجيه السفن وآلات للرصد وخارطات بحرية) (١) ·

ومما لا شك فيه أن عرب اليمن كانوا على صلات بحرية بالهند وبشرق افريقيا قبل الاسلام بقرون · وقد ساعدت الفتوح الاسلامية على ازدياد النشاط الملاحى في العصر الأموى ، وفي العصر العباسى · وكان لازدياد الاهتمام بالجغرافية الفلكية أثره في زيادة النشاط الملاحى آنذاك ·

وأدخل العرب تعديلات قيمة على آلات الملاحة والرصد منذ عرفوا الملاحة فـــى البحار والمحيطات · ومن هذه الآلات الاسطرلاب وهو الجهاز الذى يستخدم في قيـاس زاوية ارتفاع الشمس أو النجوم · وفي متحف باريس (٢) أسطرلاب من صنع أحمد بن خلف ، من منتصف القرن العاشر الميلادى ، يفوق في صناعته وتدريجه ما صنع من هذه

---

* يشكر كاتب هذا البحث الاستاذ عبد الله الماجد لما اسهم به من نقاش ولتقديمه بعض المخطوطات والكتب التى ساعدت على اعداد هذا البحث ·

(١) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى ، تاريخ الادب الجغرافى العربى جـ٢ ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، (القاهرة : جامعة الدول العربية ، ١٩٦١م) ص ٥٦٢ ·

(٢) أنور عبد العليم ، ابن ماجد الملاح ، (الاسكندرية : دار الكاتب العربى للطباعـــة والنشر ، ١٩٦٦م) ، ص ٣٤ ·

الآلة في أوربا حتى القرن الثامن عشر الميلادى (١) · وقد نقل الأوربيون عن العرب فكرة الاسطرلاب منذ الحروب الصليبية ، وان كان الفرس والهنود قد استخدموا الاسطرلاب قبل العرب ·

ولقد شهد القرن الخامس عشر الميلادى شخصيات عربية فذة في مجال الملاحـــة البحرية ومن هذه الشخصيات التى فرضت نفسها عالميا ، الملاح العربى أحمد بن ماجد ·

من هو أحمد بن ماجد ؟

يمكن جمع اسم ابن ماجد ونسبه مما ورد في أشعاره العديدة وأراجيزه ، فهو كما جاء في مقدمة كتابه (الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد) : امام الموجودين وشهاب الدنيا والدين ، أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن ابن حسين بن أبى معلق السعدى بن أبى الركائب النجدى (٢) ·

وينحدر ابن ماجد من سلالة أسرة اشتغل أفرادها بقيادة السفن فجده وأبوه كانا معلمين بحريين أيضا · ويقص الرحالة سير ريتشارد بيرتون أنه حتى منتصف القـرن التاسع عشر الميلادى كان ملاحو عدن ينسبون اختراع البوصلة الى ولى من أولياء الله الصالحين من أهل الشام يدعى الشيخ ماجد (٣) ويقرأون الفاتحة على روحه قبـل ركوبهم البحر · ويذكر ابن ماجد أن أباه كان يلقب (ربان البحرين) يعنى الساحلين الشرقى والغربى للبحر الاحمر ·

القـاب ابن ماجـد

لقد منح ابن ماجد نفسه القابا عديدة نذكر منها ما يلى :

١ ـ حاج الحرمين الشريفين · (٤)

٢ ـ ناظم القبلتين (مكة وبيت المقدس) ·

٣ ـ المعلم العربى ·

٤ ـ شهاب الدنيا والديـن ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ ·

(٢) ورد في مخطوط رقم (٢٢٩٢) في المكتبة القومية الفرنسية اسم ابن ماجد على النحو التالى : أحمد بن ماجد بن عمر ابن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبى معلق السعدى بن أبـى الركائب النجدى ·

(٣) كراتشكوفسكى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧٣ ·

(٤) تيودور شوموفسكى ، ثلاث ازهار في معرفة البحار ، احمد بن ماجد ملاح فاسكو دى جاما ، ترجمة محمد منير مرسى ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٥٧م) ، ص ٦٦ ·

ـ أسد البحر الزخـار ·

ـ نبث الليوث أو خلف الليوث ·

ـ رابع الليوث · (١)

ـ رابع الثلاثة · (٢)

ـ رئيس علم البحر وفاضله ·

ولا يعرف على وجه التحقيق تاريخ ميلاد ابن ماجد · ولكن أنور عبد العليم يرى ، ابن ماجد ولد سنة ٨٣٨هـ (٣) · وقد أستند في ذلك على ما ذكر ابن ماجد فيقصيدته ريبة الضرائب · وعلى الرغم من أن بعض الكتاب يقولون هذه القصيدة غير مؤرخة ، · أن من يقرأها يميل الى ما افترضه أنور عبد العليم · ومن أجل ابراز هذه الحقيقة ننا نورد بعضا من أبياتها :

ى شباب بعد ستون حجـــــة سما في السما فوق السماكين والنسر

ا ذاك الا فيض علم كسبتـــه علىالبحر حتى صاربحرا على بحر (٤)

من الواضح ان ناظم القصيدة قد تخطى الستين حينما كتبها ، ويمضي الشاعر قصيدته حتى نهايتها حيث يقول :

فرحتى فى ليلة قـد ترتبـــت كأنى أعطيت المنى ليلة القـــــدر

بة فى تسع ماية قـــد اتـــت اذا هى قد تمت وفيت لها نذرى (٥)

ويتضح من البيتين السابقين أن هذه القصيدة قد كتبت في عام ٩٠٠هـ اى (١٤٩٤ ١٤٩٥م· (وقد استنتج انور عبد العليم تاريخ ميلاد ابن ماجد على اساس انه كتب ه القصيدة سنة ٩٠٠هـ · وأنه آنذاك كان قد تخطى الستين · ويرجح أن يكون فى ن الثانية والستين · وعلى ذلك يكون ميلاده سنة ٨٣٨هـ اى سنة ١٤٣٤م ·

ولا شك أن هذا التحديد يستند الى حد كبير الى أسس صحيحة ويعطى تقديـــرا يبا من الواقع · ويبدو ان انور عبد العليم اول من حدد سنة ميلاد ابن ماجد ·

المرجع السابـــق ·

المرجع السابق ، ص ١٧ · ويعنى بالثلاثة :

محمد بن شاذان ، سهل بن أبان ، وليث بن كهلان ، وهم اشهر العلمين السابقين المعروفين في البحر·

انور عبد العليم ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧ ·

المرجع السابق · ويلاحظ أن (ستون) كتبت بهذا الشكل وكان يجب ان تكون « ستين » ·

) المرجع السابق ·

واستنادا الى تقدير سنة ميلاد ابن ماجد فانه يمكن القول أن نشاطاته الملاحية واسهاماته في تطوير علم البحار قد حدثت خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميـــلادى ·

مؤلفـــات ابن ماجـــد

يرجع الفضل في الاشارة الى ابن ماجد الى المستشرق الفرنسي فران Ferrand الذى قرأ مقالا من المقالات التى وردت في مخطوط تركـــى يعرف باســـم المحيط · ونسب المخطوط المقال الى أحد امراء البحر للقوات البحرية السلطانية اسمه (شلبى) · ولم يكن اسم ابن ماجد آنذاك معروفا · ولقد اتضح لـ (فران) فيما بعد ان المقال يرجع في أصله الى أحمد بن ماجد من (جلفار) الواقعة في عمان · وفي بداية القرن العشرين ، أو في سنة ١٩١٢ على التحديد ، اكتشف (فران) وأحد زملائه مخطوطتين عربيتين فى المكتبة القومية الفرنسية تحت رقم ٢٢٩٢ ، ٢٥٥٩ (١) ·

وتضم المخطوطة الاولى تسع عشرة أرجوزة وتقع في مائة واحدى وثمانين صفحة · وكان يعتقد أن هذه المخطوطة نسخة فريدة · ولكن ثبت بعد ذلك وجود نسخة مماثلة لها في دار الكتب العربية بدمشق · أما المخطوطة الثانية فتضم خمس أراجيز ، وتقع في مائة وسبع وثمانين صفحة · وقد وجد أن أرجوزتين من المخطوطة الثانية موجودتان فـــى المخطوطة الاولى ·

ولم يبدأ (فران) دراسة هاتين المخطوطتين الا في سنة ١٩١٤م · واستطاع بعد ذلك أن يؤكد بان كتاب (المحيط) الذى كتبه) أمير البحر التركى ليس في مجموعه الا نقلا حرفيا عن هاتين المخطوطتين العربيتين · وقد نشر فران صورة المخطوطتين فيما بين ١٩٢١ ـ ١٩٢٣ م ·

ويبلغ عدد ما تركه ابن ماجد من الآثار المكتوبة والتى عثر عليها نحو الأربعين كتبها في الفترة ما بين ١٤٦٢ ـ ١٤٩٥م (٢) · وقد صاغ ابن ماجد معظم أعماله شعرا · ومن أهم أعماله النثرية (كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) الذى يقع فى مائة وست وسبعين صفحة · ويحتوى الكتاب على اثنتى عشرة فائدة · (٣) وتأخـــذ مؤلفات ابن ماجد صورة شعرية تتعلق بالملاحة وعلم الفلك · وأهـــم هـــذه المؤلفات الشعرية أرجوزة (حاوية الاختصار في أصول علم البحار) وتقع في أكثر من ألف بيـت من بحر الرجز وتقع في نحو ستين صفحة (٤) ·

---

(١) تيودورشوموفسكى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧١ ·

(٢) كراتشكوفسكى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧٤ ·

(٣) يمكن ان تقوم كلمة (فائدة) هنا مقام كلمة ، فصل ، ·

(٤) في الحقيقة ان عدد أبيات أرجوزة (حاوية الاختصار في أصول علم البحار) قد بلـــغ الفـــا واثنين وثمانين بيتـــا) ·

وقد عثر (كراتشكوفسكي) المستشرق الروسي بمكتبة الاستشراق في ليينغراد على ثلاث أراجيز لابن ماجد بعد الحرب العالمية الاولى في مجموعة مخطوطات معهد الدراسات الشرقية التابع للمجمع العلمي السوفيتي (١) · ولم تكن لدى كراتشكوفسكي فكرة عن مؤلف هذه الاراجيز ، حتى اتيحت له فرصة التعرف على جهود المستشرق الفرنسي (فران) · فرأى أن الأراجيز الثلاث التي عثر عليها تتشابه مع ما وجدفي باريس في الشكل والمحتوى · وقد قام (شومونفسكي) ، تلميذ (كراتشكوفسكي) ، بتحقيق الاراجيز الثلاث سنة ١٩٤٨م ·

ويقال أن هناك ثلاث رسائل لابن ماجد احداها في جدة بالمملكة العربية السعودية، والثانية في الموصل بالعراق والثالثة في فينا بالنمسا (٢) ·

القيمة العلمية لمؤلفات ابن ماجد

تعتبر مؤلفات ابن ماجد أهم ما كتب على الاطلاق في العصور الوسطى عن الجغرافيا الملاحية التي تعد أحد فروع جغرافية البحار ·

وتوضح هذه المؤلفات مدى تقدم العرب الملاحي · وفضلا عن ذلك فان هذه المؤلفات تضم مصطلحات فنية وعلمية وبحرية عديدة يمكن أن تكون عونا في عمليات التعريب الذى نسعى اليه في العلوم المختلفة ·

ولعل أهم مؤلفات ابن ماجد النثرية كتاب (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد) (٣) ويضم هذا الكتاب مقدمة تتناول أهمية علم البحر ، وأنه من العلوم العقلية المضبوطة والتي تحتاج الى التجارب والخبرة ودوام السؤال عن المسائل الغامضة ·ويوصى ابن ماجد الربابنة بالبعد عن الخيلاء · ولا شك أن غطرسة وخيلاء الربان قد لا تودى بحياته هو فحسب ، بل بحياة معظم أو كل من معه من البحارة والمسافرين ·

ثم يتناول الكتاب اثنتى عشرة فائدة تنصب على الجانبين النظرى والعملى لفن الملاحة · ولا يقتصر ابن ماجد على عرض تجاربه الشخصية فقط بل يتناولكذلك جهودمن سبقوه وتجاربهم ، ومعظم ما ذكره ابن ماجد في هذا الكتاب يتركز حول البحر الاحمر والخليج العربى والمحيط الهندى ·

---

(١) تيودورشومونفسكي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧٤ ·

(٢) أنور عبد العليم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦ ·

(٣) اعتمد الباحث على النسخة التي أصدرها مجمع اللغة العربية بدمشق ، العلوم البحرية عند العرب ، القسم الثاني ، كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ، تاليف شهاب الدين احمد ابن ماجد النجدى ، تحقيق : ابراهيم خورى ، وعزة حسنى ، (دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧١م) ·

وقد تناولت الفائدة الاولى من الكتاب نشأة الملاحة وتطور علم البحر وان كانت قد حوت بعض تفاصيل ذات طابع قصصى مثل قوله : أول من صنع السفينة نوح عليه السلام (١) · وأما الحجر المغناطيسى فهو استخراج داود عليه السلام وهو الحجر الذى قتل به داود جالوت (٢) ·

وقد ذكر ابن ماجد في هذه (الفائدة) ربابنة البحر المشهورين السابقين مثل محمد بن شاذان ، سهل بن ابان . وليث بن كهلان ·

أما الفائدة الثانية فهى قصيرة وتتناول ما يجب أن يعرفه راكب البحر وربانه من معرفة منازل القمر ، والمسافات ومواسم ركوب البحر ·

وعالجت الفائدة الثالثة . والتى تعد من أطول فصول الكتاب ، منـــازل القمر · وتناولت الفائدة الرابعة وردة الرياح التى هي بمثابة البوصلة وبها اثنان وثلاثون قسما تسمى (اخبار) (٣) · وهى مبنية على التقسيم الليلى لدائرة الافق وتستدل علـــى الشمال بالنجم القطبى (٤) ·

أما الفائدة الخامسة والمعروفة باسم (ما يحتاجه أهل الصنعه) فتذكر الفلكيين الاوائل والجغرافيين ومؤلفاتهم التى ينبغى على ربان البحار استيعابها مثل كتـــاب المجسطى لبطليموس ، وكتاب البتانى ، وزيج ابن الشاطر المصرى ·

ويمكن اعتبار الفائدة السادسة فصلا هاما في النقل البحرى والجغرافيا الملاحية · وهى تحت عنوان (الديرات الثلاث وما يتعلق بها) · وتصف هذه الفائدة طرق الملاحة في المحيط الهندى وشرق افريقيا وبحر العرب ·

والفائدة السابعة ، وعنوانها (في الباشيات والقياسات وما يتعلق بذلك) تعالـــج مسائل خاصة بالارصاد الفلكية وارتفاع النجوم فوق الافق (٥) ، ويحذر ابن ماجد من الامور التى تتلف القياس مثل (الدخن) ويقصد بذلك الضباب ، واستخدام اليـــد اليسرى ، والجلسة السيئة · وتقاس العروض بالاصبع ، ويعادل الاصبع درجة عرض واحدة وسبعا وثلاثين دقيقة (٦) ·

(١) الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠ ·
(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ ·
(٣) سميت البوصلة وردة الرياح لأن الاصل فيها معرفة الجهة التى تهب منها الرياح ·
(٤) كان العرب يستدلون على اتجاه الشمال بالنجم القطبى (الجاه) او بنحوم بنات نعش ·
(٥) الباشيات جمع باشى ، وهو ارتفاع النجم فوق الافق ويستدل بذلك على درجة عرض المكـــان ، وكلمة باشى ليست معروفة الاصل فلا هى عربية او هندية او فارسية ·
(٦) كراتشكوفسكى · مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧٥ ·

أما الفائدة الثامنة والمعروفة باسم (الاشارات والسياسات وترتيب المركب والمسكر) فتتعلق بتفقد السفينة قبل نزولها البحر وبخاصة (الحقة) أى البوصلة للتأكد من صحة القياس بالليل · ثم يذكر ابن ماجد فيها العلامات التى تشير الى اقتراب البر مثل الحشائش البحرية والطيور حيث يقول (فاعتمد على اشارة اللزاق الكبير ، وأجود البلد الصادق والمنجى في بر الزنج والسومال (١) ·· وأما أم الصنانى وهى الطيرة الزرقاء ، في بطنها تكدر ··· ، فربما تراها وأنت سهيلى سقطرى) (٢)·

وتتناول الفائدة التاسعة ، والمعروفة باسم (دورة البحر في جميع الدنيا) ، وصف السواحل البحرية لكل من المحيط الهندى والبحر الاحمر من باب المندب حتى القلزم · كما أن كاتبها يتعرض فيها الى وصف سواحل بحر الروم (البحر المتوسط) ·

وتصف الفائدة العاشرة (الجزر الكبار المشهورات المعمورات) وجزيرة العرب ، فتقول انها : (في مبتدأ خلق الدنيا ، وهى كانت جزيرة منقطعة في البحر الى طوفان نوح عليه السلام · والتحمت بعد الطوفان ···) (٣)·

والجدير بالذكر أن ابن ماجد في هذه الفائدة يشير الى الاقاليم التضاريسية الهامة للجزيرة العربية · ويقول في ذلك ما يلى :

وقيل انها ثلاثة أجزاء ·· وهى تهامة ونجد وبينهما الحجاز حاجز ··· ويسمى تهامة كل مكان هابط ، ويسمى أغوارا أيضا ··· وقيل أن الحجاز هو جبل ··· حاجز بين التهائم والنجود (٤) ·

ثم تتحدث عن جزيرة القمر ، وجزيرة شمطرى ، وجزيرة جاوة ، وجزيرة الفور ، وجزيرة سيلان ، وجزيرة زنجبار ، وجزيرة البحرين ، وجزيرة بنى جاوان في الخليج العربى ، وجزيرة سقطرى ·

وتتناول الفائدة الحادية عشرة المعروفة باسم (مواسم السفر) ، السواحل المختلفة، وتبدأ بالخروج من الجزيرة العربية وخاصة بلاد اليمن وجدة · وقد اتبع ابن ماجد التقويم الفارسى (النيروز) ويبدأ من الحادى والعشرين من شهر مارس · ويقول ابن ماجد فيها (وأما خير الخروج من باب المندب وما يليه مثل الحديدة وعدن ، ففى أول مائة وثمانين النيروز (٥) ·

---

(١) الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٩ ·
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ، كما ان كلمة (سهيلى) تعنى جنوبى ·
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ ·
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ ، ص ٢٩١ ·
(٥) المرجع السابق ، ص ٣١٠ · ويقصد بالخروج بعد الحادى والعشرين من مارس بمائة وثمانين يوما· ومن المعروف أن الحادى والعشرين من مارس هو وقت الاعتدال الربيعى وهو بداية السنة الفارسية·

ويختتم ابن ماجد كتابه بالفائدة الثانية عشرة (بحر قلزم العرب) (١) ٠

ويشير ابن ماجد فيها الى أنه وجب عليه ذكر بحر (قلزم العرب) لان فيه نوادر وحكما لم يذكرها الا من جربها لأنه على طريق الحجاز ٠٠٠٠

ثم يضيف قائـــلا :

(وقد كان جدى ، عليه الرحمة ، محققا فيه ،ومدققا ، ولم يقرأ لأحد فيه ٠ فزاد عليه الوالد ، رحمة الله عليه ، بالتجريب والتكرار ، ففاق علمه علم أبيه فلما (جاء زماننا) جربنا هذا وكررناه قريبا من أربعين سنة ٠٠٠) (١) ٠

ويصف ابن ماجد بعض الشعاب المرجانية بالبحر الاحمر ٠ ويذكر الشعب الخطرة مثل شعب عيسى وهو يحدده ويحذر منه فيقول :

(وشعب عيسى عنهم للباحة واليمن فاحذره بالليل كل الحذر فانه شعـب (خاف) لم يكسر عليه الموج ٠٠٠٠ (٣) ٠

٠٠٠ فالحذر كل الحذر منه فان الجاه عليه ثمان وربع أو ثمان وثمن ٠ واشارته انه شعب عليه الماء قدر باعين أو اعين ونصف ، وعلى ثمان بياض للباحة واليمن) (٤)

ويذكر ابن ماجد أنه اصطدم به مرة أثناء سفره ولم يعرف اسمه آنذاك ٠ ولكنه سأل كثيرا عنه الى أن وصف له فعرفه وكتب عنه وعن أخطاره لكى يتجنبه الربابنـــة والمسافرون ٠

وتعتبر مصنفات ابن ماجد الاخرى مرشدات بحرية اذ انها تصنف الطرق البحرية٠ وخير مثال لذلك الارجوزات الثلاث الموجودة في معهد المدرآسات الشرقيـــة التابـع للمجمع العلمى السوفيتى ٠ وتقع احداها في حوالى ستمائة بيت وتصف الطريق من ملبار الى (سفالة الزنج) (٥) ٠ والثانية وهى عبارة عن مائتين وثمانين بيتا ٠ وتصـف الطريق بين الهند وسيلان وجاوه ٠ أما الاخيرة وهى أصغرها فتقع في حوالى خمســة وخمسين بيتا وتصف الطريق بين جدة وعدن ٠

ويرى (فران) أن ابن ماجد يعتبر ذروة التأليف الفلكى الملاحى لعصره ، ولا عجب اننا نجده يعتبر اول مؤلف للمرشدات البحرية الحديثة (٦) ٠

(١) كان البحر الاحمر في الماضى يعرف باسم (بحر القلزم) ٠
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٣ ٠
(٣) احمد بن ماجد ، كتاب الفوائد في معرفة علم البحروالقواعد، صورة طبـــق الاصل، (دمشـق :دار الكتب العربية) : لوحة رقم ٩٧ ٠
(٤) وهى القسم الشرقى من جمهورية موزمبيق الحالية ٠
(٥) كراتشكوفسكى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧٧ ٠
(٦) الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥١ـ ٣٥٢ ٠

هل أرشد ابن ماجد فاسكو دى غاما الى طريق الهند ؟

منذ بداية النصف الثانى من القرن الخامس عشر قام البرتغاليون بمحاولة للوصول الى الهند عن طريق الدوران حول افريقيا · ولقد كانت المحاولة التى قام بها فاسكو دى غاما في مارس سنة ١٤٩٧م احدى هذه المحاولات · وصل هذا الملاح الى ماليندى ، ميناء مملكة كامبيا (كينيا) ، على الساحل الشرقى لقارة افريقيا ، عند درجة ٣ جنوبى خط الاستواء وكان ذلك بعد سنة من ابحاره · وفي ماليندى عقد فاسكو دى غاما صداقة مع ملكها وطلب منه دليلا يصحبه الى الهند · واستطاع دى غاما أن يستعين بربان من جوررات (ساحل الدكن) ويدعى المعلم كاناكا · ويعنى لفظ (كاناكا) باللغة السنسكريتية الذى (يجيد الاستعانة بالنجوم) ويشير باروش اليه باسم (بربرى الجوررات) (١) · ولم يذكر في اية كتابة برتغالية اسم الملاح الذى أرشد فاسكو دى غاما صراحة · ومنشأ الاعتقاد القائل بأن ابن ماجد هو الذى ساعد فاسكو دى غاما الى طريق الهند يرجع الى مخطوط لقطب الدين النهروالى وعنوان ذلك المخطوط هو (البرق اليمانى في الفتح العثمانى) · ويرجع تاريخه الى عام ١٥٧٧م · ولقد عثر المستشرق الفرنسى فران على مخطوط قطب الدين عام ١٩٢٢م · وبهذا انتشر الاعتقاد القائل بأن ابن ماجد هو الذى ارشد البرتغاليين الى بلاد الهند · ويذكر المخطوط أن (من الحوادث الفوادح دخول الفرتقال (البرتغال) اللعين من طائفة الفرنج الملاعين الى ديار الهند ··· دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له (احمد بن ماجد) صاحبه كبير الفرنج وكان يقال له (الى ملندى) ـ يقصد الاميرال ـ وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حالة سكره (٢) ·

وقضية ارشاد ابن ماجد لفاسكو دى غاما مسألة مشكوك فيها وتثير بعض التساؤلات ولقد تطرق الزميل الدكتور محمد محمود محمدين الى هذا الموضوع على هيئة تساؤلات ضمنها في مذكرة له · ونظرا لأن كاتب هذا البحث يؤيد ما ذهب اليه الزميل المذكور فانه سيقتبس بعضا من هذه التساؤلات كالآتى :

(التساؤل الاول : ان ابن ماجد كان معتزا بنفسه ويميل الى الفخر وأطلق على نفسه خلال أراجيزه وسطور مخطوطاته الكثير من الالقاب · لكننا لا نجد في هذه الاسماء أو الالقاب المعلم كاناكا أو كانا كما وردت في بعض الكتابات البرتغالية ·

(التساؤل الثانى : ·· ان ذكر الافرنج لم يرد الا في قصيدة واحدة لابن ماجد هى (السفالية) وتقع في أكثر من سبعمائة بيت ··· ولم يشر ابن ماجد فيها ولا في أى من كتبه أو قصائده أنه أرشد الافرنج الى الهند ·

(التساؤل الرابع : يقول ابن ماجد فيما يتعلق بصفات الربان انه ينبغى عليه اذا

---

(١) تيودورشوموفسكى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٨ ·

(٢) قطب الدين النهروالى ، البرق اليمانى في الفتح العثمانى ، (الرياض : دار اليمامة ، ١٩٦٧) ص ١٢ ، ص ١٩ ·

ركب البحر ان يلزم الطهارة لانه يعتبر وهو في السفينة ضيفا من أضياف الرحمـــن ٠ وقول ابن ماجد هذا يؤكد خطأ ما نسبه اليه قطب الدين النهروالى في مخطوطه (١) ٠

ومما تجدر الاشارة اليه أن أرجوزة ابن ماجد المعروفة باسم (السفالية) قـــد أشارت الى الافرنج بصورة تدل على عدائهم للاسلام حينما يقول :

وجالكاليكوت خذ ذى الفائدة ... لمام تسمماية وست زايـــده
وبـــاع واشترى وحكمـا ٠٠ ... والسامرى برطله وظلمـــــا
وسار فيها مبغض الاســـلام ... والناس في خوف واهتمام (٢)

ان هذه الصورة لا يمكن أن توحي للقارىء أبدا أن ابن ماجد قد أرتضى لنفسه أن يساعد البرتغاليين في الوصول الى الهند ، اللهم الا اذا كان مكرها ٠ كما أن مطلع الارجوزة وخاتمتها خير دليل على مدى اعتزاز ابن ماجد باسلامه وايمانـــه بـــرب العـــرش العظـــم ٠

وها هو ذا يقول في مطلع أرجوزته السابقة الذكر ما يلى :

الحمد لله الذى انشأ المـــلا ... من عدم جل تعالـــى وعـــلا
قد كلت الالسن عن أوصافـه ... وكم نرى في البحر من الطافه(٣)

في حين أنه يختمها بالأبيات التالية :

واعبر لها بالحـــزم والصـلاة ... على النبـى اتخـذ وصاتـــــى
صلى الالـــه في ضياء وسحـــر ... على النبى المصطفى خير البشـر
مـــا دارت النعوش بالاقطـــاب ... واهتدت الزوج بالسحـــاب (٤)

وهناك نقطة أخرى أيضا تجدر الاشارة اليها وهى وقوع أخطاء في كتاب قطب الدين النهروالى ٠ ومن هذه الاخطاء أن (الفونسو البوكرك) قد فتح هرمز سنـــة ١٥٠٧م أى قبل بناء مستعمرة (غوا) البرتغالية على ساحل الهند الغربى ٠ وهذا يعنى أن قطب الدين ربما كان قد اختلط عليه الامر ولم يستطع أن يفرق بين ابن ماجد وبين من أرشد فاسكو دى غاما الى طريق الهند ٠

الخاتمـــــة

وبعد فقد كانت هذه دراسة سريعة لابن ماجد واعماله العلمية بقدر ما يتطلب ه هذا البحث ٠ والواقع أن هذا الملاح العربى في حاجة الى دراسات وأسعة تتناول حياته ومؤلفاته وتجاربه بشكل تفصيلى ٠ وليكن أحد أهداف تلك الدراسات هو التعرف على المزيد من انجازات واسهامات ابن ماجد في جغرافية البحار ٠

---

(١) محمد محمود محمدين ، (مذكرات في الاقيانوغرافية) ، كلية التربية ، جامعة الرياض سنة ١٩٧٦م، ص ١٠ ـ ص ٤٣ ٠
(٢) تيودورشوموفسكى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ ٠
(٣) المرجع السابق ، ص ١٧ ٠
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ ٠

IBN MAJID AND HIS CONTRIBUTIONS TO MARITIME GEOGRAPHY

" ABSTRACT "

IIbn Majid is considered as the pioneer of maritime geography during the fifteenth century A. D. He was born in Gilivar on the western coast of the Gulf of Oman. He decended from a Najdi family that lived in central Arabia. His family was famous because most of its members worked as ship pilots and sailors.

Ibn Majid was a voracious reader and prolific writer. He studied literature, astronomy, mathematical and maritime geography. Orientalists estimate that Ibn Majid wrote between thirty and forty books in the second half of the fifteenth century (1462 — 1495) .

Prominent among his books is " Kitab al - Fawa'id fi Ussool Ilm al-Bahr wal Qawa'id. " This book contains one hundred seventy six pages, each of which has ninetten lines. The book consists of twelve chapters.

There is anoter important work by Ibn Majid, that is, Hawi'at al - Ikhtisar fi' Usool Ilm al-Bihar" This is a poetic transcript of more than one thousand verses.

Ibn Majid's fame is atributed to several factors; important among which are :

1) His precise observations and his frequent sea travels.

2) His several geographic contrbutions which emphasised the importance of maritime geography. Such contributions have laid the foundation and development of this branch of geography.

3) The French Orientalist "Ferrand" discovered a text stating that it was Ibn Majid who guided the Portuguese sailor Vasco De Gama to India. This writer, however, is aware of the many questions and doubts that can be raised by such a claim. Accordingly, further study is needed before "Ferrand's" statement can be accepted.

بعض أهم مراجـــع البحث

(١) ابن ماجد ، شهاب الدين أحمد ، كتاب الفوائد في أصـول علـم البحر والقواعد ، تحقيق : ابراهيم خورى ، عزة حسنى ، (دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٩٧١م) ٠

(٢) ، كتاب الفوايد في معرفة علم البحر والقواعد ، صورة طبق الاصل ، (دمشق : دار الكتب العربية) ٠

(٣) النهروالى ، قطب الدين ، البرق اليمانى في الفتح العثمانى ، (الرياض : دار اليمامة ، ١٩٦٧م) ٠

(٤) حميده ، عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب ، (دمشق ، دار الفكر ١٩٦٩ م) ٠

(٥) شومونسكى ، تيودور ، ثلاث أزهار في معرفة البحار ، أحمد بن ماجد ملاح فاسكو دى جاما . ترجمة منير مرسى ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٥٧ م) ٠

(٦) عبد العليـــم ، أنور ، ابن ماجد الملاح ، (الاسكندرية : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ م) ٠

(٧) كراتشكوفسكى ، اغناطيوس يوليانوفتش ، تاريخ الادب الجغرافى العربى ، جـ٢ ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، (القاهرة : جامعة الدول العربية ، ١٩٦١ م) ٠

(٨) محمدين ،محمد محمـود ، مذكـــرات في الاقيانوغرافيـــة ، الرياض : كلية التربية ، جامعة الرياض ، ١٩٧٦ م) ٠